

# الوجود والصدق والمعنى في فلسفة كواين ❖

*Paul Gochet*

(Université de Liège)

Traduit de l'anglais à l'arabe par : *Hany Moubarez* (Ain Chams University, Cairo)

ترجمة من الإنجليزية: هاني مبارز (جامعة عين شمس، القاهرة)

## Résumé

Dans cet article publié en 1977, Paul Gochet tente de faire un examen critique des interrelations entre quatre thèses centrales dans la philosophie de Quine ; le holisme, la sous-détermination, l'indétermination de la traduction et la relativité de l'ontologie, en montrant qu'elles sont dépendantes et dérivables les unes des autres dans un autre sens que celui de la philosophie ouverte de Gonsseth où les thèses sont simplement juxtaposées. En outre, les quatre thèses de Quine peuvent être défendues contre toute accusation de fausseté et de trivialité, même si Gochet amende partiellement la thèse du holisme, et fonde sa défense de Quine sur ce qui est implicite dans ses écrits.

## ملخص

يحاول بول قوشيه في البحث الذي نترجمه له أن يقدم فحصاً نقدياً للعلاقات الموجودة بين أربع من أطروحات كواين الرئيسية ؛ الكلية وعدم التحديد وعدم تعيين الترجمة والنسبية الأنطولوجية مبيناً أنها أطروحات تعتمد على بعضها البعض اشتقاقياً وعلى نحو ترتيبى ، بخلاف أطروحات الفلسفة المفتوحة - لدى جونسيت - التي تقف إلى جوار بعضها البعض ببساطة . كذلك فإن أطروحات كواين الأربع يمكن الدفاع عنها ضد أي نقد لها بأنها كاذبة أو مبتذلة ، وإن كان قوشيه يعدل من أطروحة الكلية بعض الشيء من جهة ، ويعتمد في الدفاع عن كواين على استخراج المضمرة في كتاباته من جهة أخرى.

## Abstarct

In the following translated paper Paul Gochet is trying to provide a critical survey to the interrelationships holding between four of the main theses of Quine's philosophy, i.e.; Holism, underdetermination, indeterminacy of translation and ontological relativity, proving that they are orderly interdependable and derivable , other than Gonsseth's four theses of his open philosophy that are simply juxtaposed. Moreover,

Quine's four theses can be defended against any accusing with falsity or triviality although that Gochet amends the thesis of the holism a little and bases his defense about Quine on drawing what is implicit in Quine's writings.

سوف أحاول في هذا البحث فحص العلاقات المتداخلة التي تقع بين أربع من الأطروحات الرئيسة في فلسفة كواين ؛ ألا وهي :

- (1) أطروحة الكلية.
  - (2) أطروحة عدم تحديد النظريات العلمية .
  - (3) أطروحة عدم تعيين الترجمة .
  - (4) أطروحة النسبية الأنطولوجية .
- لقد ولدت هاته العقائد الأربع مطارحات لا تنضب : وتبدو هذه العقائد كاذبة في أحد التأويلات ، بينما تصبح مهددة بأن تصير مبتذلة في تأويل آخر . علاوة على هذا ، انبرت دعاوى تؤكد أنه لا يمكن الجمع بينها على نحو متسق . على الضد من كل هذا سأحاج بأنها صادقة وأصيلة ومتسقة بالتبادل.

### 1. أنواع من الكلية

تستند قيمة صدق أى بيان تقريرى تركيبى على عاملين : وضعية الأشياء الموصوفة في البيان التقريرى من جهة ، ومعنى الكلمات الموجودة فيه من جهة أخرى . ومن المغرى تصور البيانات

---

✻ Being, Truth and Meaning in Quine's Philosophy. Cet article a été publié dans la Revue Philosophica N° 19, 1977, pp. 119-136. Nous tenons à remercier tout particulièrement son Directeur de rédaction qui nous a donnée la permission de le traduire et de le publier dans ce numéro special.

التقريرية التحليلية بوصفها حالة متدهورة للبيانات التقريرية : فهي بيانات تقريرية تستند قيمة صدقها على معنى الكلمات الموجودة فيها فحسب . هذا النهج في رسم التفرقة بين البيانات التقريرية التركيبية والتحليلية سوف يتقوض ، على أية حال ، إن ظهر أن البيانات التقريرية لا تكتسب معانيها على نحو منعزل.

يأخذ كواين ذلك المنحى في نقده المشهور للقسمه الثنائية إلى 'تحليلي- تركيبى' ، فهو يستخدم الكلية بوصفها حجة تقف ضد تلك القسمه الثنائية : " فليس هو الحد ، ولكنه بالأحرى البيان التقريرى ، ذلك الذى تعرف عليه فريجه بوصفه الوحدة ، هو ما يقع عبء مساءلته على عاتق أى ناقد امبريقى . ولكن ما ألح عليه الآن هو أننا ولئن أخذنا البيان التقريرى بوصفه الوحدة ، فإننا وإن نكون قد حددنا شبكتنا بذلك على نحو دقيق إلا أننا حددناها على نحو ضيق ؛ ذاك أن وحدة المغزى الامبريقى هى كل العلم " <1>

الحد البات في هذا النص هو 'المغزى'. فهل ينبغى تأويله على أنه يعنى 'امتلاك المعنى' أم على أنه يعنى 'المعنى' ؟ إن وقفنا فى صف القراءة الأولى فسنفهم كواين على أنه يدعى أن التساؤل إن كان البيان التقريرى المأخوذ على نحو منعزل ذى معنى أم لا ، لهو تساؤل خارج عن المؤلف . ولكننا إن وقفنا فى صف القراءة الثانية فإننا سننسب لكواين دعوى أكثر قوة بأن وحدة المعنى الدلالى ليست هى البيان التقريرى ولكنها العلم برمته . القراءة الثانية هى القراءة الصحيحة وهى ما يمكن الاستدلال عليها من فقرة فى كتاب كواين فلسفة المنطق ؛ حيث نجده يكرر حجة الكلية ضد القسمه الثنائية إلى 'تحليلي - تركيبى' ، حائداً عن 'المغزى' مولياً وجهه شطر 'المعلومات' : " إن أمكن لكل عبارة فى العلم تعيين مشاركتها الجزئية فى المعلومات ... فإن عقيدة التحليلية ستكون متماسكة " <2>

(1) Quine, *From a Logical Point of View*, New York, 1953, p. 142.

(2) QUINE, *Philosophy of Logic*, Prentice Hall, 1970, p. 98.

لا بد من التفرقة بين كلية كواين الدلالية التي هي نظرية جريئة في المعنى من جهة ، وكلية دوهيم الإستمولوجية من جهة أخرى ، هذا رغم أنها تضاف إليها . والعلاقة بين الأطروحتين علاقة لزوم . إن الكلية الدلالية تلزم من عطف الأطروحتين التاليتين معاً : أ) كلية دوهيم الإستمولوجية ؛ وهي الدعوى التي مؤداها أنه لا يمكن أبداً للمرء أن يحقق فرضاً على حدة ، ولكنه يستطيع فقط أن يحقق نظرية برمتها . ب) نظرية التحقق في المعنى ، التي طبقاً لها يكون معنى العبارة هو منهج التحقق منها . يشارك كواين في هاتين الأطروحتين . فها هو يكتب في مقدمته لكتابه " مناهج المنطق " : " لا تقف بياناتنا التقريرية عن الواقع الخارجي أمام محكمة الخبرة الحسية على نحو منفرد ولكنها تقف كجسم متضام " .<sup>3</sup> إن هذا يتفق مع دعوى دوهيم التالية : " لا يستطيع عالم الفيزياء أن يقدم لمحكمة الخبرة فرضاً منعزلاً ، بل يستطيع فقط أن يقدم جمعاً من الفروض " .<sup>4</sup> أما فيما يتعلق بنظرية التحقق في المعنى ، فقد أخذ كواين بها ، على الأقل مؤقتاً ، في مقاله 'تطبيع الاستمولوجيا' ؛ إذ يقول : " لنفترض أننا - بالمجارة مع الإمبريقي القديم بيرس - أخذنا بالقول إن المعنى ذاته للبيان التقريري يكمن في الاختلاف الذي يقدمه الصدق لكل خبرة ممكنة " .<sup>5</sup> يمكن الاعتراض على دعوانا القائلة بأن الكلية الإستمولوجية مخلوطة بنظرية التحقق في المعنى تستلزم الكلية الدلالية ، وتستبعد القسمة الثنائية إلى 'تحليلي - تركيبى' كما يلي : نحن نجد أن كارناب ، الذي يعد من الوقاحة بمكان انتقاده على أساس عدم الاتساق ، يدافع عن كل

(3) QUINE, *Methods of Logic*, New York, 1950, p.XII.

(4) DUHEM, *La théorie physique, son objet, sa structure*, Paris, 1914, p. 284. " le physicien ne peut jamais soumettre au contrôle de l'expérience une hypothèse isolée, mais seulement tout un ensemble d'hypothèses...".

(5) QUINE, *Ontological Relativity*, New York, p. 78.

33 من كلية دوهم الإستيمولوجية ونظرية التحقق لدى بيرس وشليك ، ورغم هذا فهو يستبقى القسمة الثنائية إلى 'تحليلي - تركيبى' . ويعبر كارناب عن اتفاقه مع كلية دوهم في كتابه التركيب المنطقي للغة كما يلي : " لا ينطبق الاختبار - في نهاية الأمر - على فرض وحيد ، ولكنه ينطبق على كل نسق الفيزياء بوصفه نسقاً من الفروض (دوهم وبوانكاريه)" <6> هذا الاعتراض يفقد قوته على أية حال ولينا فيها وجهنا شطر خصوصية الكلية الإستيمولوجية لدى كواين : فمذهبه في الكلية عام جداً ، بل وأكبر عمومية بكثير من مذهب الكلية الاستيمولوجية لدى دوهم . فمذهبه في الكلية يتجاوز الفيزياء ليغطي العلم برمته بما فيه الرياضيات والمنطق.

ويجدر بنا أن نذكر هنا أن حجة كواين في الكلية واستبعاده التفرقة إلى 'تحليلي - تركيبى' معاصران لصياغة جونسيث للمبادئ الأربعة في 'الفلسفة المفتوحة' ، التي نشرها في مجلة *الجدل* ؛ ألا وهي : مبدأ القابلية للتنقيح الذي يغطي كل تعلم ، ومبدأ الثنائية الذي يقرر عدم قابلية عزل العقل عن الخبرة ، ومبدأ التكاملية الذي " يضع مجموع المعرفة ككل ، وبه لا تكون الأجزاء مستقلة" ، <7> ومبدأ التقنية .

على أية حال ، نجد أن مبادئ جونسيث تتراص بجوار بعضها البعض على نحو بسيط ، بينما نجد كواين يشتق استبعاده للقسمة الثنائية (الذي يناظر مبدأ الثنائية لدى جونسيث) من

(6) Carnap, *Logical Syntax of Language*, London, 1937, p. 318.

(7) GONSETH, "*Logique et Dialectique*", *Dialectica*, vol. 2, 1947, 123-124.

بالفرنسية في الأصل :

" Pose l'ensemble de la connaissance comme un tout dont les parties ne sont pas autonomes" .

الكلية (التي تناظر مبدأ التكاملية لدى جونسييت). لقد نظر البروفيسور بيرلمان في مشكلة العلاقات المنطقية بين مبادئ جونسييت وأوضح أن " الجمع بين مبدأ التكاملية ومبدأ الثنائية يكون الخاصة ذاتها التي لدى الفلسفة الردية : أما المبادئ الأخرى فتلزم عن طريق النتائج ". <8>

قدم كواين أقوالاً عديدة عن مذهبه الكلي ، وهو يقترب أحياناً من صياغة دوهم للمذهب ، إلا أن كواين يعطى مدى أوسع لتصور الكلية : فالفقرة الموجودة في كتابه الكلمة والموضوع على النحو التالي : " تنبثق البدائل : وتنطلق الخبرات تطلب تغيير احدى النظريات ، ولكنها لا تحدد أين وكيف " <9> - هذه الفقرة هي تقريباً صورة طبق الأصل من بيان دوهم التقريرى التالي : " عندما تكون الخبرة في خلاف مع توقعاته [أى عالم الفيزياء : المترجم] ، فإنها تعلمه أن هناك واحداً على الأقل من تلك الفروض التي تكوّن هذا المجموع غير مقبول ويجب تعديله، ولكنها لا تعين له ذلك الذى يجب تغييره ". <10>

في مقالته " عقيدتان للامبريقية " ، يقوم كواين بعمل الدعوى الأقوى التي مؤداها أن " أى بيان تقريرى مهما كان يمكن أن يظل صادقاً ، وذلك إن قمنا بعمل تعديلات جذرية كافية في

(8) Ch. PERELMAN & L. O LBRECHRTS-TYTECA, *Rhétorique et Philosophie*, Paris, 1952, p. 97.

النص بالفرنسية فى الأصل :

"la conjonction du principe d'intégralité avec celle de dualité constitue la caractéristique même de la philosophie régressive : les autres principes en découlent par voie de conséquence" .

(9) QUINE, *Word and Object*, p. 64.

(10) DUHEM, *op. cit.*, p. 284.

بالفرنسية فى الأصل :

" lorsque l'expérience est en disaccord avec ses prévisions, elle lui apprend que l'une au moins des hypothèses qui constituent cet ensemble est inacceptable et doit être modifiée, mais elle ne lui désigne pas celle qui doit être changée".

أى مكان بالنسق ، بل حتى يمكن المحافظة على صدق البيان التقريرى القريب جداً من حواف النسق إزاء الخبرة التى تعانده ؛ وذلك عن طريق ادعاء الهلوسة أو عن طريق اصلاح بيانات تقريرية معينة ، من ذلك النوع الذى يطلق عليه قوانين منطقية". <11>

على أية حال ، يمكن أن نجد النسخة الأقوى من الكلية فى خطاب بعث به كواين إلى جرونباوم ونُشر حديثاً ؛ إذ يقول : " إني لا أعنى حتى بتجنب الطُرف المبتدل الذى يتمسك بقانون ما عن طريق تغيير المعنى ؛ ذاك أن زعم الانشقاق بين المعنى والواقعة هو جزء مما أضعه موضع السؤال فى سياقات كهذه " . لكن كواين يُلطف من قوله هذا على النحو التالى : " إن كليتى ليست متطرفة حقاً مثلما هو محتم عليها أن تتبدى كذلك جراء الفقرات الغامضة الموجزة الموجودة فى نهاية مقالتي 'عقيدتان للامبريقية' . انظر الأقسام 1-3 أو 7-10 من كتاب الكلمة والموضوع". <12>

نسخة الكلية الأقوى قطعاً هى قوية جداً ؛ فهى تطمس التفرقة بين كلية دوهم من جانب واصطلاحية بوانكاريه من جانب آخر ، وهى التفرقة الجديرة الاحتفاظ بها . ولقد أشار جرونباوم إلى مغزاها الاستمولوجى بجلاء فى مقالته 'الحجة الدوهمية' ؛ فكل من دوهم وبوانكاريه سيدعى بأنه يمكن انقاذ الهندسة الإقليدية .

ولكن على حين نجد أن عالم الفيزياء الدوهمى يقبل بالتأثيرات التى تؤدى إلى قلق جراء البناء

(11) QUINE, *From a logical point of view*, p. 43.

(12) A. GRÜNBAÜM, "The Duhemian Argument" *Philos. Rev.* 1960, reprinted in *Can Theories be refuted*, Dordrecht, 1976, p. 120.

الكياوى لقضبان القياس ، ويسمح بوجود تشوهات ، بل ويسمح كذلك "بمنطق يحسب تلك التصحيحات ؛ منطق يمنع أن تنعزل قابلية الهندسة نفسها للاختبار التجري عن الانتظامات الفيزيائية" <13> - على حين نجد كل ذلك لدى عالم الفيزياء الدوهمي إلا إنه لن يعث بالمقاييس ذاتها ؛ فهو لن يعطى لنفسه حق اللجوء إلى إعادة وضع المقاييس ، بمعنى أنه لن يسمح بأن يستند طول القضيب على متغيريّ الموضع والاتجاه المستقلين كما كان ليفعل أحد تابعي بوانكاريه . ومن ثم يصبح من الأهمية بمكان فصل الكلية عن الاصطلاحية . تصور كواين للكلية لا يستقيم وينبغي - لهذا السبب - التخلي عنه.

## 2. المصادمة بين الكلية الدلالية وأطروحة عدم التحديد

العقيدة الأخرى في فلسفة كواين للعلم هي الأطروحة القائلة بأن النظريات العلمية لا تتحدد عن طريق الملاحظة . يتألف عدم التحديد من افراط في الثراء : يدعى كواين أنه حتى لو حسبنا أن الملاحظات الامبريقية هي ذات صحة أبدية " فإن مما لا عدد له من بدائل النظريات سيكون على وفاق متعادل معها في المحل الأول " . <14>

في مرحلة متأخرة ، قدم كواين نسخة من أطروحة عدم التحديد أكثر قوة : فهو قد ادعى أنه يمكن لما يفوق الحصر من بدائل النظريات أن يقف على قدم المساواة في فضيلة الملائمة ، حتى وإن لم نأخذ فقط في اعتبارنا الملاحظات الماضية والحاضرة والمستقبلية ، بل أخذنا كذلك في الاعتبار كل الملاحظات الممكنة : إن النظرية الفيزيائية لا تتحدد حتى بكل

(13) A. GRÜNBAUM, *op.cit.*, p.120.

(14) QUINE, *Word and Object*, p.23.



الملاحظات الممكنة... فيمكن للنظريات أن تظل مع ذلك متباينة، هذا رغم أن كل الملاحظات الممكنة مثبتة. إن النظريات العلمية يمكن لها أن تكون متعارضة مع بعضها البعض وتظل رغم هذا متوافقة مع كل المعطيات الممكنة ، حتى بأوسع المعاني . خلاصة القول، يمكن للنظريات أن تكون غير متوافقة منطقياً ، ولكنها تكون مع ذلك متكافئة امبريقياً". <15> تختلف أطروحة عدم التحديد عن الأطروحة التي أطلقنا عليها اسم الكلية الاستمولوجية. فهي تستلزمها ولكن لا تلزم عنها ؛ ذاك أن أطروحة الكلية تؤكد وجود جمع من النظريات يفسر الوقائع الملاحظة ، بينما يذهب عدم التحديد أبعد من هذا فيؤكد وجود لانهائية من النظريات التي تفسر الملاحظات الممكنة.

ثمة صعوبة خطيرة تلوح متى حاول المرء الجمع بين الأطروحات الأربع التالية :

1. الكلية الاستمولوجية (تواجه البيانات التقريرية محكمة الخبرة بوصفها جسم متضام).
  2. نظرية التحقق من المعنى (يقع معنى البيان التقريرى فى منهج تحققه أو فى الفارق الذى سيقدمه صدقه للخبرة الممكنة) .
  3. الكلية الدلالية (وحدة المعنى هى العلم برمته) .
  4. أطروحة عدم التحديد .
- تكمن الصعوبة فيما يلى : إن جمعنا بين الأطروحات الثلاث الأولى فسنزل إلى القول بأن أى نظريتين متكافئتين امبريقياً هما متكافئتين دلالياً بالذات أى مترادفتين . إن كان ذلك كذلك فإن أطروحة عدم التحديد ستصير على أية حال مبتذلة ، وحينئذٍ سيمكن وصف النظريات العديدة التي " تكون فى وفاق متعادل مع الملاحظات فى المحل الأول " ، على أنها بدائل فى

الترميز لا تختلف إلا في الكلمات ولكنها لا تختلف في المحتوى. أصبح كواين على دراية بالمشكلة بل وحاول حلها . فهو يقر في مقال حديث له بعنوان 'طبيعة المعرفة الطبيعية' (1975) بأن "مسألة عدم التحديد تنزلق من بين أيادينا متى حاولنا أن نمسك بها على نحو أكثر رسوخاً" <16> ، و"إذا ما توافقت نظريتان مع مجموع الملاحظات الممكنة ذاتها ، فبأى معنى تكونان نظريتين اثنتين ؟ ... ذاك أنه من الممكن الاعتراض بالقول إنه بما أن نظريتين كهاتين سوف تكونان متكافئتين امبريقياً ، فمن ثم سيكون لهما المعنى الامبريقى ذاته ، والفارق بينهما سيكون محض فارق لفظي". <17>

رد كواين على ذلك هو أن النظريتين المتكافئتين امبريقياً لا تختلفان عن بعضهما البعض في الترميز فحسب ، بل وتختلفان دلاليًا أيضاً متى كانتا غير متماثلتين كلمة بكلمة ؛ أى متى لم تكونا قابلتين للترجمة من وإلى بعضهما البعض .

على أية حال ، تكون النظريتان متكافئتين امبريقياً ودلاليًا معاً متى – على سبيل المثال – "كانتا متماثلتين كلمة بكلمة عدا أن واحدة تطلق على الجزيئات اليكترونات ، بينما تطلق الأخرى على الاليكترونات جزيئات". <18>

إن رد كواين مرض كما هو ، ولكنه يستلزم استبعاد الأطروحة رقم (3) ، أى أطروحة الكلية الدلالية . حتى ندرك هذا ، علينا أن نتذكر فقط ما يقوله كواين نفسه عن الترجمة في كتابه الكلمة و الموضوع : " إن الترجمة تسير قُدماً شيئاً فشيئاً ، ويتم التفكير في العبارات على أنها

(16) QUINE, "The Nature of Natural Knowledge", *Mind and Language*, ed. GUTTENPLAN, Oxford, 1975, p. 80.

(17) QUINE, *Ibid.*

(18) QUINE, *Ibid.*

في الفقرة المقتبسة الأخيرة ، يركز كواين على التفرقة بين الترجمة التي تكون بالقطعة من جهة ونظرية التحقق التي تكون شاملة. هذا التقابل له على أية حال عواقب بعيدة المدى . فهو يتضمن على نحو مضمّر معرفة أن اللغة تختلف عن النظرية، وهذا ما يمكن قبوله بسهولة. فالترجمة ترسم بصورة أولية من اللغة المصدر فوق اللغة الهدف ، بينما ترسم فقط على نحو مشتق نظرية مكتوبة في لغة ما فوق نظرية مكتوبة في لغة أخرى.

هل بإمكان كواين - إذ وجب عليه انقاذ أطروحته في عدم التحديد من الابتدال - أن يقدم لمذهبه الفلسفي تفرقة بين اللغة والنظرية على نحو متسق ؟ في مواضع عديدة ، يخلط كواين عمداً بينهما. فهو يستخدم على سبيل المثال - في مقاله 'عن الكيانات الذهنية' - الكلمة الغطاء 'النسق' لتشمل كلاً من اللغة والنظرية.<20> وحين ينتقده تشومسكي على " ميله لاستخدام الحدين 'لغة' و'نظرية' على نحو تبادلي " <21> ، نجده يلتمس العذر بالقول : " يتعلق هذا الميل باستبعادى للتفرقة التقليدية بين البيانات التقريرية التحليلية والتركيبية ؛ أو بتعبير آخر ، يتعلق المشتركة على نحو واسع ؛ أو يتعلق وهو باستبعادى للتفرقة بين المعنى والمعلومات المكاملة الشيء نفسه في النهاية - باستبعادى لفكرة أن عبارات النظرية لها محتويات امبريقية عديدة وقابلة للعزل " <22> . قد يستنتج المرء من ذلك أنه كما ينقذ كواين عدم التحديد ، فهو مضطر إلى أن يأخذ خطوة أبعد تعرض آرائه عن التفرقة بين التحليلي والتركيبى للخطر.

(19) QUINE, *Word and Object*, p. 79.

(20) QUINE, "Mental Entities", *Ways of Paradox*, N'Y', 1966, p. 209.

(21) CHOMSKY, "Quine's Empirical Assumptions", *Synthesis*, vol. 19, déc. 1968, p. 53.

(22) QUINE, "Replies", *Syntheses*, 1968, p. 281.

على أية حال ، يكشف الفحص الدقيق لهذه المسألة أن الخطر مجرد وهم . إن اللغة لها جانبين وبناء عليه يستطيع المرء المحاجاة بأن النظرية متصلة مع اللغة ؛ أحدهما تركيبى والآخر دلالى . بقدر ما تكون الدلالة عنايتنا ؛ بينما يستطيع المرء فى الوقت نفسه الاصرار على أن اللغة منفصلة بإحكام عن النظرية بقدر ما يكون التركيب عنايتنا . يمكن إيضاح وجهة النظر تلك عن طريق النظر التالى : يمكن ارجاع مصادر المعنى وقواعد الاستنتاج إما إلى اللغة أو النظرية على حد سواء . على النقيض من هذا تعود قواعد التكوين إلى اللغة وحدها . ثمة بعض التلميحات - فى نصوص كواين - تدفعنا للقول بأن كواين كان ليوافق على هذا الدفاع ؛ فهو يقيناً يقر بالتفرقة الصارمة بين الدلالة والتركيب . وهذا ما يمكن تحصيله من الطريقة التى يعالج بها اللغو .

غالباً ما نجد كواين يرد اللغو الدلالى إلى الكذب . إن 'س' (لا ينتمى الى) 'س' التى تكون بلا معنى طبقاً لنظرية رسل فى الأنماط ، تصبح ذات معنى طبقاً لنظرية كواين فى الفئات - لكن هذا الرد يمتد وراء السياق التقنى للمنطق : " فبعيداً عن ذلك السياق التقنى نجد بين الفلاسفة من يعنون أنفسهم بالقول إن التنبؤات التى من قبيل ما يلى هى تنبؤات غير ذات معنى بدلاً من أن تكون تنبؤات كاذبة : 'يفكر هذا الحجر فى فيينا (كارناب)' ، 'تشرب المضاعفة إلى أربعة أضعاف بروراستينيشن (رسل)' ... ولكن بما أن كل الفلاسفة الذين يبتنون أسيجة مقولاتية على هذا النحو ، لا يكون فى نواياهم عموماً ، تحريم كل تلك الأكاذيب الرياضية التى من قبيل المحالات على اللغة - فإنى من ثم لا أرى ثمة منفعة جراء الاستبعايدات الجزئية التى يقومون بها ؛ ذاك أن الصور المعنية ستظل مع ذلك تحت السيطرة

تماماً ، وذلك إذا ما قبلناها – مثلها كمثل التناقضات الذاتية – بوصفها كاذبة بالأحرى " <23>

إن استعداد كواين لمحو التفرقة بين اللغو الدلالي والكذب ملازم لاستعداده لمحو القسمة الثنائية إلى 'تحليلي - تركيبى' . كما يتبين هذا يكفي أن نشير إلى الارتباط الذي أسسه كارناب في كتابه التركيب المنطقي للغة بين العبارات التحليلية و'المحمولات الكلية' (والأخير اصطلاح أطلقه كارناب لما نطلق عليه اليوم 'حد مقولة': " نطلق على المحمول الذي تكون كل عبارة تامة فيه عبارة تحليلية - نطلق عليه محمولاً كلياً ... " <24>

ومع هذا يعترف كواين في كتابه فلسفة المنطق بأن ثمة لغواً أصيلاً في التركيب . ويعد المخطط التالي مثال على ذلك: ( - ق ق v ق ) ( ق ) ، حيث نقرأ المتغيرات العبارية المسورة على ان مداها يمتد فوق عبارات . يقول كواين في ذلك : "إن العبارات ليست أسماء ؛ وهذه القراءة غير محكمة ببساطة ؛ فهي تستخدم 'ق' في المواضع التي تتطلب جملاً عبارية ، وتستخدمها كذلك وفي آن واحد في الموضع الذي يتطلب اسم ذات " <25>

لقد رأينا للتو أن اللغو الدلالي متصل مع الكذب ، بينا اللغو التركيبي منفصل تماماً عن الكذب. في ظني أنه يمكن قول الشيء نفسه عن اللغة والنظرية . فمن وجهة نظر دلالية ، ثمة اتصال بين اللغة والنظرية ، ولكن ليس اتصال هوية بالطبع : متى تكون النظرية متسقة فهي فئة جزئية

(23) QUINE, *Word and Object*, p. 229.

(24) CARNAP, *Logical Syntax of Language*, p. 292.

(25) QUINE, *Philosophy of Logic*, 11, 12.

فعلية من اللغة ، بمعنى أنها تحتوي على عنصر واحد فقط من كل زوج مصوغ من العبارة ونفيها . من وجهة نظر تركيبية ، ثمة انفصال بين اللغة والنظرية . فإذا ما كان ذلك كذلك ، فإن كواين يستطيع وعلى نحو متسق أن يستخدم النظرية واللغة بالتبادل متى كان يناقش القسمة الثنائية إلى 'تحليلي - تركيبى' بل وأن يعتمد على التفرقة بين النظرية واللغة متى كان يعالج المشكلة التي يطرحها عدم التحديد.

### 3. عدم تعين الترجمة .

يمكن للطفل الذي يتعلم لسانه الأم أو للإثنولوجي الذي يحاول أن يترجم إلى لغته المصطلحات التي تستخدمها قبيلة ظلت منعزلة ثقافياً - يمكن لهذا العالم أن يتسلح بالملاحظة، والاستقراء، والتجريب المطبق على السلوك اللغوي للسكان الأصليين.

على أية حال ؛ سيجيء الوقت الذي سيحتاج فيه هذا العالم إلى ما هو أكثر من ذلك ، فهو سيحتاج إلى ما أطلق عليه كواين 'الفروض التحليلية' : " في الغابة يتوقف الإثنولوجي ، ويشرع في تقطيع المنطوقات المسموعة إلى أجزاء متكررة وقصيرة على نحو ملائم ، وهو بهذا يجمع قائمة 'كلمات' السكان الأصليين . وهو يساوى على نحو افتراضى بين العديد منها وبين الكلمات والتعابير الانجليزية ، وذلك على نحو يتفق مع [شروط حدية معينة]" <26>

وهكذا تُجمع الفروض التحليلية معاً فيما أطلق عليه كواين كتيبات الترجمة. يمكن لكتيبات ترجمة مختلفة أن تنجح جميعها في مهمة نقل السلوك اللغوي للسكان

الأصليين ، ومع هذا يظل كل كتيب ترجمة ينسب معان مختلفة له على نحو كبير . يسمى كواين هذا الغياب للتحديد 'عدم تعيين الترجمة' . فعلى سبيل المثال ، قد يذهب أحد الكتيبات إلى ترجمة 'جافاجاي' إلى 'يوجد هنا أرنب' ، بينما يذهب كتيب آخر إلى ترجمتها على النحو التالي : 'هنا فئة من أجزاء متلاحمة لأرنب' . قد يعتقد البعض أنه ، وعن طريق طرح سؤال من قبيل 'هل هذا هو الجافاجاي نفسه الذي مثل ذلك؟' - سوف يكون في مكنته فض المسألة . ولكن ليس هذا هو واقع الحال مهما يكن من شيء ؛ ذلك أنه يمكن عمل تعديلات تعويضية تبرر الاختلافات غير المتوافقة بالتبادل . يذكرنا هذا بالكلية الاستمولوجية ، وواقع الحال أنه حالة تعويض لها . تُصاغ أطروحة عدم تعيين الترجمة في كتاب 'الكلمة والموضوع' بالحدود التالية : " يمكن سبك كتيبات الترجمة من لغة إلى أخرى بطرق متباعدة ، كلها متوافقة مع مجموع ميول القول ، ولكنها غير متوافقة وبعضها البعض . وسنجد - في مواضع لا يمكن حصرها - أنها تتباعد وهي تعطي عبارات في اللغة الثانية بوصفها ترجماتها المعتمدة لعبارة ما في اللغة الأولى ، وهو ما يقف حجر عثرة لأي تكافؤ مقبول بين بعضها وبعض بأى نوع من التكافؤ مهما كان فضفاضاً " <27> .

تحمل هذه الصياغة تشابهاً ملفتاً مع صياغة أطروحة عدم تحديد النظريات العلمية عن طريق الملاحظة التي اقتبسناها مبكراً . لقد ضلل هذا التشابه عدداً كبيراً من القراء ، وجعلهم يعتقدون أن عدم تعيين الترجمة ليس شيئاً آخر إلا حالة جزئية من عدم تحديد النظريات العلمية . سأعيد هنا فتح المناظرة من جديد محاولاً وضع حجج جديدة كما أبين أن عدم التعيين

يختلف عن عدم التحديد وأن هذا الاختلاف مهم.

#### 4. الطريق الأولى في التفرقة بين عدم التحديد وعدم التعيين

يعد شومسكى من بين هؤلاء الذين ادعوا أن التفرقة بين عدم التحديد وعدم التعيين تفرقة بدون محتوى : " إن الموقف في حالة اللغة ، أو معارف الذوق العام ' ليس مختلفاً عما هو في حالة الفيزياء". <28> في كلتا الحالتين ، يتوجب علينا الاستعانة بالفروض. من وجهة نظر ابستمولوجية نجد أن الأطروحتين لا تتميزان عن بعضهما البعض ، لكنهما تختلفان من وجهة نظر أونطولوجية . يمكن استجماع هذه التفرقة من مقالة مبكرة لكواين ("المعنى وعلوم اللغة") يبدو وأنها زاغت عن عيون تشومسكى وآخرين . يقول كواين في هذه المقالة إنه لا يوجد شيء صواب أو خطأ في الترجمة الجذرية ، وذلك على النقيض مما يحدث في الفيزياء.

يطرح كواين الفرق بين نوعي عدم التعيين على النحو التالي : فهو يتخيل مُعجمي يعمل في بلد بعيد ، منافحاً مع المعلومات التي يعطيها له الراوي ، ومحاولاً بمساعدة الفروض أن يبتني معجمه عن طريق سبك تضائفات المعنى بين اللغتين . " إن المعجم النهائي " ، هكذا يكتب كواين ، " هو حالة من قدم هرقل . لكن ثمة فارق ؛ عندما نتخيل هرقل من قدمه فنحن نحاطر بالوقوع في الخطأ ، ولكننا قد نلتمس العزاء من وقعة أنه ولا بد أن يكون ثمة شيئاً ما خطأ حوله . أما في حالة المعجم ، فإنه لا يوجد لدينا أي بيان تقريرى عن المشكلة ؛ فليس لدينا أى شيء للمُعجمي يستوجب أن يكون على صواب أو خطأ حوله ، وذلك ريثما يظهر تعريف ما للترادف " . <29>

(28) CHOMSKY, *Op. cit.*, p. 61.

(29) QUINE, *F.L.P.V.*, p. 63.



لاذ كواين - فى رده على تشومسكى عام 1968 - بالنمط ذاته من النظر الأونطولوجى : "لئن كانت علوم اللغة بالطبع جزءاً من نظرية الطبيعة ، إلا أن عدم تعين الترجمة ليس موروثاً كحالة خاصة من عدم تحديد نظريتنا عن الطبيعة فحسب . فهو وإن كان موازياً له إلا إنه إضافى . وهكذا أتبنى فى الوقت الحالى اتجاهى الواقعى التام تجاه الاليكترونات ... انظر - من وجهة النظر الواقعية تلك - إلى مجموع حقائق الطبيعة المعروفة وغير المعروفة ، المرصودة وغير المرصودة ، الماضية والمستقبلية . المشكلة هى أن عدم تعين الترجمة سيصمد حتى أمام كل هذه الحقائق ؛ مجموع الحقائق عن الطبيعة . وهذا ما أعنيه عندما أقول إنه حيثما ينطبق عدم تعين الترجمة ، فليس ثمة سؤالاً واقعياً عن الاختيار الصواب ، فليس ثمة حقائق ...". <30>

يمكن تلخيص الموقف على النحو التالى : لا تتحدد النظريات العلمية عن طريق أى ملاحظة (ماضية ، أو حاضرة ، أو مستقبلية أو حتى ممكنة) ، لكن من بين النظريات المتنافسة فى الفيزياء يوجد على الأكثر نظرية واحدة صادقة عن توزيع الجزيئات التى تكوّن الواقع الفيزيائى . ولكن الأمر لا يكون على هذا النحو بالنسبة لكثيرات الترجمة . هنا لا توجد حقائق لدرجة أنه لا يوجد ثمة شئ من قبيل مملكة المعانى ، فليس ثمة شئ من قبيل القضية فى ذاتها . ويبدو أن أطروحة كواين فى عدم التعين يتهددها الشر ذاته مثلها كمثل نسخته الأخيرة من أطروحة الكلية وأطروحته فى عدم التحديد : الابتدال . يقع المرء تحت غواية القول إنه إذا - بقدر ما الترجمة تسير - لم يكن ثمة شئ هنالك يستوجب أن يكون صواباً أو خطأ بصدها ، فإن التباعد الذى يمكن أن يوجد بين الترجمات المتصارعة هو تباعد حول لاشئ .

أخذ العديد من النقاد هذا الخط . ويعبر البروفيسور يونج عن هذا الاعتراض على النحو التالي : إذا - في تفرقة مضادة للنظريات العلمية المتنافسة - ما كانت الترجمات المتنافسة ليس لديها شيء تختلف حوله ، فلن يوجد حينئذ هناك أى شيء " تكون الترجمة معدومة التعيين طبياته " <31>، ويشارك البروفيسور شيك هواجس البروفيسور يونج بالقول : " تكمن الصعوبة في أن دعوى المرء بعدم تعيين الترجمة لا يمكن أن تلفت الانتباه إلا عن طريق التفرقة بين \_\_\_\_\_ دائل للمعنى \_\_\_\_\_انى " . <32>

على أية حال ، يمكن الرد على هذا الاعتراض ، وذلك إننا إذا ما تعاملنا مع الفروض التحليلية بالقدر نفسه الذى نتعامل به مع نسق الإحداثيات فى الفيزياء ، عندئذ سنتفهم الطريقة التى تعمل بها الفروض التحليلية . فقبل تبني الفروض التحليلية ، لن يكون هنالك ثمة معنى يقبض عليه المترجم . لكن إذا ما اختير كتيب الترجمة فسيوجد ثمة شيء مثل المعنى . إن المعنى ليس مُلق هناك ، كأثاث " من أثاثات العالم " ، إنه يُسقط عن طريق كتيب الترجمة . بعبارة أخرى ، ما يفعله كتيب الترجمة هو أن يُسقط العادات اللغوية المقيدة باللغة المصدر فوق اللغة الهدف . ويقر كواين تماماً بهذا اللاتماثل فى الفقرة التالية : فقط عن طريق .. الاسقاط الصريح للعادات اللغوية القبليّة ، فإن عالم اللغة يستطيع أن يجد الحدود العامة فى اللغة المحلية على الإطلاق ، أو بعد أن يجدها يطابقها مع لغته ... إن منهج الفروض التحليلية هو طريقة يقذف بها المرء نفسه فى لغة الغابة عن طريق زخم لغته . <33>

(31) I. YOUNG, "Rabbits", *Philosophical Studies*, 1972, p. 180.

(32) K. SCHICK, "Indeterminacy of Translation", *Journal of Philosophy*, 1972, p. 830.

(33) QUINE, *Word and Object*, p. 70.

لكن إذا ما كان كتيب الترجمة ينقل "العادات اللغوية" من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، أو بعبارة أخرى، إذا ما كان ينقل العادات اللغوية من مكان إلى آخر، فهل نستطيع مع ذلك أن نتفق على أننا نخلق شيئاً ما؟ الإجابة أن نعم. إن كتيبات الترجمة تولد المعنى بقدر ما تستطيع كتيبات الترجمة المختلفة - التي تربط بين اللغة المصدر ذاتها مع اللغة الهدف ذاتها - أن تسقط فوق الترجمات المختلفة للغة الأخيرة. عندما يحدث هذا الموقف، فمن الواضح أن كتيب الترجمة هو المسئول عن اختلاف المعنى الذي ينتج عن تطبيقه. إن السؤال "كيف يمكن تصور كتيبات الترجمة على أنها تضافات تركيبية نسقية، بمعنى تضافات بين العبارات تخلق المعاني؟"

هذا السؤال يمكن الإجابة عليه بسهولة إذا ما تصورنا هذه القوة الخلاقة بوصفها قوة للتحويل بصورة مبدعة. المعضلة لا يمكن حلها قط في حالة إذا ما افترض المرء أن نوع الخلق الوحيد للمعنى الذي يمكن تصوره هو الخلق من العدم. ثمة اعتراض آخر يمكن أن نثيره ضد طريقة كواين في تبرير التفرقة بين عدم التحديد وعدم التعيين. فقد يعترض المرء - مثلما فعل فوليسدال - بأن كواين "يقرر فحسب عقيدة أنطولوجية مفادها أنه لا توجد قضايا أو كيانات مفهومية أخرى". <34> على أية حال، إن فوليسدال نفسه يضع حجة مصممة لدعم افتراض كواين الدوجماتيقي جداً: "يبدو لي أن موقف كواين أكثر لفتاً للانتباه إذا ما عُد انحيازه الأنطولوجي بوصفه نتيجة لمحاولة الاستمولوجية أكثر أصولية تجاه الامبيريقية". <35> تأخذ حجة فوليسدال ميزة ارتباطها بمنهجية البحث، وهو ما يجعل من عدم التحديد أكثر

(34) FØLLESDAL, "Indeterminacy of translation and underdetermination of the theory of nature", *Dialectica*, 1974, p. 296.

(35) *Ibid.*, p. 296.

سواءً في نظرية الترجمة منه في النظريات الفيزيائية : " كما كان الحال بالنسبة للنظرية الامبريقية ، فإن اعتبارات البساطة والمنهجية لا يمكن لها أن تعطى تعريفاً للصدق . والحق ، أن الموقف في الترجمة يكون حتى أكثر صعوبة مما في النظرية الامبريقية ، لأن - كما لاحظ كواين (في محادثة شخصية ) أبسط راسم فوقي من اللغة 'أ' إلى اللغة 'ب' متبوعاً بأبسط راسم فوقي من اللغة 'ب' إلى اللغة 'ج' لا يعطى بالضرورة الراسم الفوقي نفسه من اللغة 'أ' إلى اللغة 'ج' كما يفعل أبسط راسم فوقي من اللغة 'أ' فوق اللغة 'ج' . وبالمثل ، أبسط راسم فوقي من اللغة 'أ' فوق اللغة 'ب' متبوعاً بأبسط راسم فوقي من اللغة 'ب' فوق اللغة 'أ' لا يرسم فوقياً بالضرورة كل عنصر في اللغة 'أ' للخلف على نفسه". <36>

والآن - طبقاً لفوليسدال - فإن " الانحياز " الأصولي " للامبريقية " يلزمنا افتراض أن " الكيانات الوحيدة التي نجد أنفسنا مبررين في افتراضها هي تلك التي يتم اللجوء إليها في أبسط نظرية والتي تفسر كل بيئة " <37> ، ولأن معيار البساطة لا يعمل هنا ، فإن الافتراض الأنطولوجي لا يمكن تبريره . الامبريقية تؤدي من ثم إلى العبارة الفيزيقية التالية : " بقدر ما تكون الترجمة عنايتنا فإنه لا توجد وقائع " .

---

(36) *Ibid.*, p. 295.

(37) *Ibid.*, p. 295.

## 5. طريق كواين الثانية في تخطيط التفرقة بين عدم التعيين المتعلق بالترجمة وعدم التحديد المتعلق بالنظرية .

إن حجة فوليسدال قوية جداً في تنفيذ المعاني التي يتم تصورها بوصفها كيانات أفلاطونية (على طول الخط مع قضايا بولتسانو التي في ذاتها ) ، ولكنها تبدو غير قوية ضد المعاني التي يتم تصورها بوصفها كيانات ذهنية خاصة . فالمرء لا يزال يستطيع أن يقع تحت غواية التفكير في الترجمة بوصفها محاولة لاكتشاف ما في ذهن الناس الذين تُترجم منطوقاتهم .

في مقاله " عن أسباب عدم تعيين الترجمة " يعالج كواين تلك المشكلة ذاتها . فهو يقدم حالة يكون فيها عدم تعيين الترجمة - كمسألة واقعة - مضافاً إلى المأزق الآخر ألا وهو عدم تحديد النظريات الامبريقية . فهو ينظر في نظريتين متصارعتين ، 'أ' و 'ب' ، ولكنها متوافقتين مع كل المعطيات الممكنة، و هكذا نكون في وضع مجبرين فيه على عمل اختيار لا محدد بالخبرة بينهما. حينئذ تكون مشكلة الترجمة مطعمة بعدم التحديد الابتدائي : فهو يدعونا للتفكير في الموقف الذي يلقي بثقله عندما نكون في شك بخصوص أى من هاتين النظريتين ينبغي نسبتها إلى عالم أجنبي تقتضى لغته عمل ترجمة جذرية لها . يعلق كواين على الموقف كما يلي :  
قد نتبنى النظرية 'أ' من جهتنا ، ومع ذلك نظل أحراراً في أن نترجم الأجنبي بوصفه يعتقد 'أ' أو يعتقد 'ب' . وإني لأضع مغزى السؤال عمّ كان الأجنبي يعتقد حقاً أ أو ب موضع شك <38>.

(38) QUINE, "On the Reasons for Indeterminacy of Translation", *Journal of Philosophy*, p. 180, 1970.

للهولة الأولى ، يبدو بيان كواين التقريرى مضاد للحدس على نحو قوى . بالتأكد من المغرى للمرء أن يعترض بأنه يمكن للأجنبى أن يتبنى فى قلبه أحد النظريتين 'أ' أو 'ب' . و - بقدر ما هو فعل ذلك - حتى لو أننا لا نستطيع أن نختار على أسس امبريقية بين الترجمة التى تنسب له الاعتقاد فى 'أ' ، والترجمة التى تنسب له الاعتقاد فى 'ب' ، فإن واحدة من النسبتين صحيحة مع ذلك ، رغم انها غير معروفة لنا ، أعنى الترجمة التى تنسب له النظرية التى اختارها فى الواقع . ثمه واقعة إذن بعد كل شىء ، لكن هذه الواقعة ذهنية المحتوى أكثر منها واقع فيزيائى .

لقد نقد بورس حجة كواين فى اصدارة حديثة لجورنال الفلسفة (1975) . إن بورس يتحدى بيان كواين التقريرى للحد الذى به يكون السؤال عمّ كان الأجنبى يعتقد حقاً 'أ' أم 'ب' سؤالاً لا يعرض لأى اختيار واقعى . حجة بورس التى يطلق فيها على الأجنبى اسم 'ماكس' ، تجرى على النحو التالى : " مهما يكن الأمر حول ميولنا اللغوية التى اخترنا بمقتضاها 'أ' ، فإنه يمكن لها أن تجعل من اختيار ماكس لـ 'أ' واقع حال أيضاً ؛ ذلك أن الاختيار إذا ما كان واقعياً بالنسبة لنا فلا بد أن يكون واقعياً بالنسبة لـ ماكس . لذا يتوجب على كواين إما أن يتخلى عن الحجة ، أو ينكر أن اختيارنا لـ 'أ' عوضاً عن 'ب' هو اختيار واقعى . قيمة الحجة تكمن فى رؤية أن الترجمات المتكافئة بالملاحظة ، هى ترجمات مترادفة " . <39>

(39) Ch. BOORSE, "The Origins of the Indeterminacy Thesis", *J. of Ph.*, 1975, p.

حجة بورس هي محاولة جديدة لجعل أطروحة كواين في عدم التعيين مبتذلة ، ومع ذلك ثمة رجاء في تنفيذها . يفترض بورس أننا نستطيع أن ننظر في اختيار الأجنبي بين 'أ' أو 'ب' من وجهة نظر الأجنبي ، لكن هذا سيؤدي إلى أن يضع المرء نفسه في مكان الأجنبي ويتجاهل مشكلة الترجمة نفسها . بالطبع إن اختيار الأجنبي بين 'أ' أو 'ب' (اختيار ماكس) موازى لاختيارنا . لم ينكر كواين هذا أبداً ، لكن المشكلة تظهري ندمج بين مشكلة عدم التحديد ومشكلة عدم التعيين. قد يحدث أن تعطى النظرية 'أ' المدموجة مع كتيب الترجمة 'ت1' النتائج ذاتها التي تعطى النظرية 'ب' المدموجة مع كتيب الترجمة 'ت2' . إذا كان ذلك كذلك ، فإن كواين يستطيع أن يدعى وبحق أنه لا يوجد ثمة اختيار واقعي وأن الموقف أسوأ مما لو كنا مضطرين إلى أن نتعامل مع عدم التحديد فقط . فعدم التحديد يجبرنا على الاختيار بين 'أ' أو 'ب' على نحو جزافي ، لكن عدم التحديد مندمجاً مع عدم التعيين يحول الاختيار الجزافي بين " إما 'أ' أو 'ب' ؟" إلى اختيار محال ، أو يحوله على أحسن الظروف إلى اختيار زائف بين " إما 'أ' أو 'أ' ؟" . إن بورس ليس مخلولاً له في هذه المرحلة أن يدعى كما يفعل أن كل ما يبينه هنا هو أن الترجمات المتكافئة بالملاحظة مترادفة ، لأن 'مترادفة' هنا حد مشترك: فهي 'مترادفة' بالاعتبار لأي كتيب ترجمة ؟ أن نتحدث عن 'الترادف' في ذاته 'سيؤدي بنا إلى افتراض ما ينكره كواين ويجعلنا نرتكب مغالطة التنفيذ بالجهالة .

ثمة درس إيجابي علينا استخراجة من كل هذا : يستطيع عدم التحديد أن يقف بمفرده (أستطيع أن أتأمل نظريتين 'أ' و 'ب' دون ترجمتهما) ، بينا عدم التعيين طفيلي على عدم التحديد . يميظ هذا اللثام عن وجه جديد للعلاقة بين النظرية واللغة.

## 6. عدم التعين والنسبية الأنطولوجية

يقوض عدم تعين الترجمة المعنى . وهو لا يقوض الجانب المفهومي منه فحسب ، ولكنه يقوض الجانب الماصدي منه كذلك : إن غموض الإشارة نتيجة لازمة من عدم تعين الترجمة . ومع هذا ينتج من ذلك مذهب فلسفي آخر مهم : النسبية الأنطولوجية .

ألم يكن كواين مضطراً للانزلاق نحو نسبية بروتاجورية في النهاية ؟ يحاول ثومسون في مراجعته لمقالة كواين النسبية الأنطولوجية أن يدافع عن كواين ضد هذا النقد على حساب التنازل عن شيء ما : " لا تقول النسبية الأنطولوجية أقوالاً موضوعية عن أشياء مستحيلة ، وذلك بالقدر نفسه الذي لا تقول به نسبية الحركة أقوالاً موضوعية عن ظواهر فيزيائية مستحيلة . في كلتا الحالتين تتقرر أسئلة الصدق - في النهاية - عن طريق الباعث الحسي ، وليس عن طريق المواضع الأنطولوجية أو اختيار شيء للإشارة إليه . لئن كان الإنسان مقياس الأنطولوجيا ، مثلما هو مقياس نقاط الإشارة ، إلا إنه ليس مقياس الصدق" . <40> لسوء الحظ ، لا يتوافق هذا الدفاع مع دعوى كواين أن " الأسئلة الأنطولوجية ... ينتهي بها المطاف إلى أن تقترن مع مسألة العلم الطبيعي" ، <41> ولا يتوافق كذلك مع بيانه التقريري المتكرر الذي مؤداه أن العلم بناء موحد ينتمي إليه المنطق والأنطولوجيا مثلما تنتمي الفيزياء إليه . إذا كان حل ثومسون غير مرض ، فإن المعضلة تبقى على أية حال .

(40) THOMPSON, Review of Quine, *Ontological Relativity, Metaphilosophy*, 171, p. 339.

(41) QUINE, *Ways of Paradox*, p. 134.



كيف يمكن لكواين أن يدافع عن النسبية في الأنطولوجيا دون الوقوع في تصور نسبي عن العلم ، وذلك عندما يقبل بأن الأنطولوجيا لا تختلف عن الفيزياء إلا في الدرجة فقط ( " ما يميز بين اهتمامات الفلاسفة الأنطولوجيين وكل علوم الحيوان والفيزياء ... الخ ، يكمن فقط في نفحة المقولات " ) . <42>

تقتضى الإجابة التي سأقترحها تفرقة بين الميتافيزيقا الوضعية والميتافيزيقا المتعالية ، وهي التي يمكن جمع البيئة عليها من كتابات كواين . في البداية دعنا ننظر في الميتافيزيقا الوضعية . التفرقة طبقاً لرأى كواين ، فإن فحص " القبول غير النقدي لمملكة الأشياء الفيزيائية ذاتها ، أو الفئات ... يُعهد به إلى الأنطولوجيا " <43> ، " ها هنا " - والكلام لازال لكواين - " تقع مهمة جعل ما كان مضمراً واضحاً ، وما كان غامضاً محكماً ، ومهمة عرض وحل المفارقات ، وعلاج الخلل ، وتشذيب النمو اللاوظيفي ، وتنظيف الأحياء الأنطولوجية الفقيرة " . <44> وحتى ينجز الفيلسوف هذه المهمة عليه في البداية أن يميظ اللثام عن الافتراضات الأنطولوجية الموجودة في العلم ؛ وذلك عن طريق تنضيد العلم من خلال نظرية مسورة ، بعد ذلك عليه أن يطبق على هذه النظرية معيار الالتزام الأنطولوجي ، وفي النهاية سيحاول رد الافتراضات الأنطولوجية في النظرية المدروسة إلى نظرية تكون الافتراضات الانطولوجية فيها أضعف.

(42) QUINE, *Word and Object*, p. 275.

(43) QUINE, *Ibid.*, p. 275.

(44) QUINE, *Ibid.*, p. 275.

حينما ننجز رد أنطولوجيا نظرية 'ن' إلى أنطولوجيا نظرية 'ن' ، فنحن نعتمد على خلفية نظرية 'ن' لها أنطولوجيا خاصة بها بدورها . هذا الاعتماد هو ما تبلغه الأنطولوجيا النسبية ، لكن اعتماداً كهذا لا يمنع أن يكون رد أنطولوجيا النظرية 'ن' إلى أنطولوجيا النظرية 'ن' رداً أصيلاً . إن تحقيق رداً من هذا النوع لهو مهمة علمية تنتمي إلى ما قد نطلق عليه 'أنطولوجيا وضعية' . وخير مثال على ذلك هو رد فريجه أنطولوجيا العدد إلى أنطولوجيا الفئات . لكننا لا نستطيع أن نحقق هذه النتيجة ما لم يكن لدينا نظرية خلفية .

لقد لاحظ كارناب من قبل أن الأسئلة العلمية يمكن الفصل فيها فقط من داخل إطار لغوي أما كواين فهو يخطو خطوة أبعد من ذلك : فهو يقول إن الأسئلة العلمية . والأنطولوجية يمكن الفصل فيها فقط من داخل نظرية أكثر شمولاً . بينما يقر كارناب بالحاجة إلى ميتالغة فحسب ، فإن كواين يطلب ما هو أكثر من ذلك : ميتا-نظرية ، بمعنى أنه يطلب ميتالغة وميتا-أنطولوجيا معاً .

مثلاً نستطيع أن نرتد من ميتالغة إلى ميتا-ميتالغة ، مثلاً نستطيع أن نرتد من ميتا-أنطولوجيا إلى ميتا-ميتا-أنطولوجيا . إن التعرف على هذا الإمكان للارتداد واللاتناهي هو ما يطلق عليه كواين ميتافيزيقا متعالية : " في مرواغتها على أية حال - في خوائها الآن وفيما بعد فيما خلا بالنسبة لخلفية أكبر - فإن كل من الصدق والأنطولوجيا قد يقال عليهما - بمعنى أكثر وضوحاً بل وتسامحاً على نحو مفاجئ - أنهما ينتميان إلى الميتافيزيقا المتعالية" . <45>

ما أريد تأكيده هنا، هو أن جعل الأنطولوجيا نسبية على يد كواين قد حقق رد اعتبار لما أطلق عليه كارناب 'الأسئلة الخارجية' في مقاله الشهير عن "الإمبريقية ، الدلالة ، والأنطولوجيا". لقد ادعى كارناب أن الأسئلة الداخلية ، وهي الأسئلة التي تنبثق داخل اطار لغوى معين ، يمكن أن نعطيها إجابات صادقة أو كاذبة ، هذا بينما الأسئلة الخارجية المنبثقة حول الاطار التصورى ذاته تكون محض مسألة اختيار . ولكننا إن أخذنا مزية 'الميتافيزيقا المتعالية' عند كواين ، سنجد ضرورة جعل التقابل الذى قام به كارناب بين الأسئلة الخارجية والداخلية تقابلاً نسبياً . فالسؤال لا يكون خارجياً أو داخلياً فى ذاته . إنه يعد هكذا فقط بالاعتبار إلى ميتا-نظرية ما .

إن السؤال " هل توجد فئة من الأعداد الحقيقية غير قابلة للحصر " يكون سؤالاً خارجياً بالاعتبار إلى حساب الأعداد الحقيقية بينما يعد سؤالاً داخلياً بالاعتبار إلى نظرية الفئات. حتى ولو كان من غير الممكن أن نجد هذا التطور بصورة صريحة لدى كواين، إلا أنه يتفق مع البيان التقريرى التالى من كتابه الكلمة والموضوع : " لا يمكن التمييز بين السعى نحو أبسط نمط شامل للترميز القانونى من جهة ، عن السعى نحو المقولات الأخيرة ؛ وترسيم أكثر قسامات الواقع عمومية من جهة أخرى . كذلك لا يجب أن نسمح باللجوء إلى الحجة المضادة التى مؤداها أن الانشاء ما هى إلا مواضع لا يملها الواقع ؛ لأنه من الممكن حينئذ أن يقال الشئ نفسه عن النظرية الفيزيائية ؟ الحق إنه إذا كان من طبيعة الواقع أن نظرية فيزيائية ما أفضل من

56 أخرى هي التي ستجمعنا من حولها ، فالأمر بالمثل مع الترميزات القانونية". <46>

الدرس المستفاد من هذا هو أنه متى أعطينا دفعا للبراجماتية - مثلما فعل كواين - فإنها أي البراجماتية تستبق نوعاً جديداً من الواقعية ، وتلكم جد حالة دقيقة جداً من الرفع : فلقد حصل تجاوز لكل من الوضعية والواقعية الكلاسيكية <47>.

---

(46) QUINE, *Word and Object*, p. 161.

(47) P. GOCHET, *Quine en perspective*, Paris, Flammarion, 1977.